الحوار فهذا لا يقلل من دورها) بقوة الاستمرار من جهة وبحجم هائل من التنازلات وصل الى درجة اعلان القبول بالانضواء تحت علم احد الأقطار العربية، وسبب ذلك هو ضعف، ان لم يكن انعدام، الخيار العسكري العربي، اذ ليس هناك خيار عسكري فلسطيني، حتى الآن، خارج اطار الخيار العسكري العربي، الذي أمل في ان تكون حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ آخر الحروب العربية ـ الاسرائيلية (حسب تعبير الرئيس الراحل السادات)، واعتبرتها الدول العربية واحدة من «أهم» انتصارات العرب، فنهجت، بعدها، الى التسوية السياسية انطلاقاً من رؤيتها لانجازات تلك الحرب، وهي تحقيق التوازن مع اسرائيل.

هذا الوضع يدفع الى الحديث حول مفهوم استقلالية القرار الوطني الفلسطيني.

القرار الوطني الفلسطيني المستقل: أضاءة واشكالات

هل هناك قرار وطني فلسطيني مستقل؟ هل هناك امكانية لقرار وطني فلسطيني مستقل؟ لقد هيمنت على الذهن الغربي العام ايديولوجيا القومية العربية، التي كان كل من حزب البعث وحركة القوميين العرب ادواتها السياسية بعد نكبة فلسطين العام ١٩٤٨، ولهذه الايديولوجيا جذورها في تاريخ المنطقة، خاصة في الفكر الاسلامي (انا نزلناه قرآناً عربياً ـ آية. القرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي ـ حديث شريف). حتى الحركات الشيوعية التي تعاملت سياسياً مع الأطر الجغرافية لم تستطع مقاومة تأثير الايديولوجيا العروبية، وشهدت انشقاقات داخلها في مرحلة السبعينات تحت تأثير تلك الايديولوجيا كأحد العوامل الفاعلة في تلك الانشقاقات، حيث كان الموقف من الوحدة العربية (كمقولة) ومن المقاومة الفلسطينية (كوسيلة تعبير لحركة تحرر) في صلب تلك الانشقاقات. كما عجزت دعوات الخروج من الاطار القومي العروبي الى الاطار الاسلامي عن الوقوف في وجه التيار القومي العروبي، خاصة بعد ان برزت الشخصية الكاريزمية لعبد الناصر كمعبر عن هذا التيار.

في ضوء هذه الهيمنة الايديولوجية، التي بدت انها الرد العملي على الاستعمار، لم يكن بإمكان التيارات «الانفصالية» عن القومية العربية مواجهة ذلك المد، بالرغم من أن تلك التيارات انشأت حكومات بدأت تترجم نفسها دولاً في الأطر الجغرافية التي صارت، الآن، كيانات. وكانت القضية الفلسطينية وسيلة التحريض العروبي ضد «الكيانات الانفصالية»، وأسهم الفلسطينيون في حملة التحريض العروبي انطلاقاً من الشعور والايمان بعجزهم عن حل مشكلاتهم بمعزل عن الغرب (مع ملاحظة ان العرب عربان، عرب الحكومات وعرب الشعب). حتى ان ظاهرة حركة التحرير الوطني الفلسطيني المعاصرة شملها هذا التقسيم، فكانت منظمة التحرير الفلسطينية جزءاً من عرب الحكومات، وكانت ظاهرة المقاومة الفلسطينية جزءاً من عرب الشعب، حتى تم الدمج الجزئي بينهما في ١٩٦٩ في ظل هيمنة شعار «قومية المعركة» و «التضامن العربي» الذي انهى صراع عبد الناصر (ممثل التيار القومي) مع السعودية (ممثل التيار الاسلامي التقليدي). هذا التضالح الغربي كان تعبيراً عن اقرار الجميع بواقع الكيانات العربية. وبقي على الفلسطينيين انتزاع الاعتراف العربي بهم ككيان، فتم لهم ذلك في ١٩٧٤ حين اقر المجتمعون في قمة الرباط بوحدانية التمثيل الفلسطيني لمنظمة التحرير. وبقي هذا الاقرار مفتقراً الى المصداقية بحكم الوضع الخاص للفلسطينيين الذي يمكن تسميته «وضعاً تحت الاحتلال» حتى في الاقطار